## عيد «الدارسين» بالداخل

# أبناء المغتربين لم يغنوا «يا مسافر»!!

□ لم يتذكروا قول المتنبي «عيد بأي حال عدت يا عيد» ولم يستمعوا لأغاني الفراق والسفر والوداع رغم أنهم قضوا أيام العيد بعيداً عن أهاليهم، هناك من أجبرتهم الظروف على البقاء في صنعاء وتجاوز التقليد السنوي في السفر إلى الغربة، حيث العائلة، وهناك من طلب تجربة العيد بعيداً عن الأسرة حباً في الاستمتاع بأكبر قدر من الحرية، وهناك من عاد إلى جذوره ليقضي أول أيام العيد في قريته التي تركها والده أو جده منذ زمن بعض أبناء المغتربين الدارسين في الجامعات اليمنية فضلوا قضاء إجازة العيد في بلدهم الأول ليتفاجأوا بعيد له طقوس ونكهة مغايرة لما تعودوا عليه في بلد الغربة، أيضاً آباء عادوا إلى أسرهم بعد طول غياب، فالعيد مجمع الأحبة.
لم يكن يرغب في قضاء أيام العيد في الغربة بعيداً عن عائلته الكبيرة، لكن الظروف أجبرته على ذلك.

استطلاع/معين محمد النجري

## □ مغتربون قضوا أول أيام العيد فقط مع أهاليهم

## □ تقاليد وعادات عيدية لم يعرفوها في غربتهم الدراسية

سالم عبدالرحمن، طالب السنة النهائية في كلية الطب، يعود إلى المملكة العربية السعودية، حيث تغترب عائلته كل عيد، ولم يحدث أن قضى العيد بعيداً عنها.
«هذا العيد استثنائي له ظروفه الخاصة التي أجبرتني على البقاء في صنعاء».
سالم وزملاؤه يهتمون كثيراً بهذا العالم ولا يرغبون في حدوث أي تقصير، إنهم يعدون أنفسهم لمغادرة قاعات الجامعة، وهذا لن يحدث إلا إذا نجحوا في اجتياز كل الاختبارات.
لقد ضحى بزيارة أسرته في سبيل الدراسة، لكنه لم يخسر كثيراً، قال : «صحيح أن العيد بعيداً عن الأهل صعب ويحمل الكثير من الشجن، لكنني هنا في بلدي الأول وما لقيته من اهتمام ورعاية من بعض الزملاء والإخوة، عوضني عن أشياء كثيرة وشعرت بأنني أعيد وسط أهلي».
ربما لأنها أول إجازة يقضيها سالم خارج أسوار عائلته، لكن العائلة الكبيرة هنا في اليمن عوضته كثيراً وجعلته يشعر بجلال الانتماء إلى هذا الوطن «لقد شعرت بانتماء غريب أثناء إجازة العيد إلى هذا الوطن».
ليس من السهل أن يشعر الإنسان بالانتماء إلى تراب لم يعرفه إلاّ في زيارات قصيرة، لكن العيد وأهله خلقوا هذا الانتماء وزرعوه عند أبناء المغتربين الدارسين في الجامعات اليمنية.

### لأول مرة

□ عكس سالم عبدالرحمن تماماً خالد سعيد في أول سنة دراسية في كلية الهندسة لم يزر اليمن قبلها سوى مرتين : الأولى في نهاية الثمانينيات والثانية عام ١٩٩٧م من القرن الماضي.
زياراته كانت قصيرة لم يتعرف خلالها على أهل قريته ولم يزر سواها، الدراسة في جامعة صنعاء فرصة بالنسبة له، وإجازة العيد منحته مساحة واسعة من الوقت، قال : «أنا أصررت على والدي أن أقضي إجازة العيد هنا في اليمن رغم أنني أشتاق كثيراً لأسرتي في الطائف».
خالد لم يصرف ساعات العيد في المذاكرة أو التسكع في شوارع صنعاء، لقد قرر أن يستغل كل دقيقة في هذه الإجازة، زار قريته البعيدة ثم سافر إلى مدينة عدن وزار تعز وإب وخرج إلى مناطق سياحية أخرى في صنعاء، إنه يرغب في التعرف على كل شبر في اليمن، «زرت مجموعة من المدن وشعرت بحزن كبير، كيف أصل إلى هذا العمر وأنا لا أعرف حتى أهم المدن في بلدي، أنا الآن غير نادم على عدم عودتي إلى أسرتي المغتربة، لأنني خلال هذه الإجازة تعلمت الكثير من معاني حب الوطن وتعرفت على أشخاص ومدن وقرى كان من الصعب الوصول إليها إذا ظلت حياتي تسير بتلك التقليدية».
خالد يشعر بأنه نجح في كسر حاجز العزلة التي بنتها سنوات الغربة أنه يقترب أكثر من وطنه ويتعلم من عاداته وتقاليده الكثير «يكفي أنني تعلمت لأول مرة كيف أمسك البندقية وأطلق النار».
«النصع» من العادات المصاحبة لأفراح العيد، خاصة في الأرياف، حيث المساحات الواسعة والخالية «النصع» لم يكن الشيء الوحيد الذي تعلمه خالد من قريته لقد شاركهم - أيضاً - في أداء الزوامل العيدية ودخل حلقات الرقص «البرع»، قال : «العيد في القرى اليمنية له نكهة خاصة، إنه عيد أسطوري وغير معلب كالأعياد في المدن».
الشعور بالحرية يجعل الشخص دائماً في حميمية إلى تلك اللحظات التي عاشها وربما يندم على الأيام التي أضاعها خلف قضبان الأوامر والأعراف والمحظورات، وما تمنحه القرية من حرية في اللهو والأفراح أيام العيد كاف لإغراء جميع من يسكنون المدن ليعودوا إلى قراهم، وهذا ما يحدث في الغالب، حيث يترك الكثير المدن ويعودون إلى قراهم لقضاء إجازة العيد.

### لم نكن في غربة

□ لم يعتبرا نفسيهما في غربة، زين السقاف وصبري مطاوي، طالبان في كلية العلوم، قضيا الإجازة ما بين صنعاء وحضرموت الوادي، لقد عتبا علي كثيراً على وصفي لهما بالاغتراب، قال زين : «نحن في بلدنا، إذاً نحن لسنا مغتربين، المغتربون هم أسرنا في الخليج، حسناً أنا لم أقصد الاغتراب عن البلد، بل كنت أقصد الاغتراب عن الأهل».
زين وصبري تركا صنعاء ليقضيا أول أيام عيد الأضحى المبارك في «الوادي» بين الأهل والأصدقاء، الحضارم مشهورون بقوة الترابط الأسري والتمسك بالجذور.
وصف صبري العيد وسط الأهل بقوله : «قضينا أول أيام العيد بين الأهل والأصدقاء في الوادي، وهذا عوضنا عن غياب العائلة، نحن لم نشعر في أي لحظة أننا مغتربون لأننا على تواصل مستمر بالعائلة في الخليج وفي حضرموت، بالإضافة إلى الأصدقاء هنا في صنعاء، نحن نمتلك زملاء رائعين يشعروننا دائماً بأننا وسط أهلنا».
حينما يوجد المحبون يطيب العيش، هذا هو عنوان الحياة التي يعيشها زين السقاف وصبري مطاوي في صنعاء، إنهما يتمتعان بعلاقات عائلية حميمية جعلتهما بعيدين جداً عن شباك الغربة وقهر البعاد، علق زين عليها : «لقد كنت أحلم بأن أعيش هذه الأجواء منذ زمن، فمن النادر في زمننا أن تجد علاقات إنسانية مملوءة بكل هذا الكم من الصدق».
اشتهر الحضارم بالسفر الطويل والاغتراب، وهذا ما جعلهم قادرين على بناء علاقات قوية مع الشعوب وتعايش سليم قائم على الفائدة المتبادلة، وهذا ما جعل عبد طلاب الجامعة بعيداً عن عائلاتهم شيئاً بسيطاً لا يستدعي ذلك الشجن وغير حمال للحزن والقلق، إنها غريزة وجدت في هذا الإنسان الطلب أكسبته الكثير من الشهرة والمنافع وحب الآخرين.

### خمس سنوات

□ لم يعد عبدالسلام بحاجة لسماع أغنية «يا مسافر على بلاد بروح وقلبي» ولا «ودعتك الله يا مسافر» ولا «مسافرين»، هو اليوم يقضي إجازته العيدية بين أهله وأصدقائه يستمتع بالزيارات ويصل أرحامه ويسامر أصدقاءه القدامى، خمس سنوات قضاها في المهجر لا يريد أن يتذكر كيف كان يقضي أعيادها ولا لماذا لم يعد بين فترة وأخرى يجيب فقط «نصيب».
عبدالسلام قال إنه بكى عندما وجد إخوانه أصبحوا شباباً، لقد تركهم وهم في الإعدادية، الآن منهم من أصبح في الجامعة ومنهم من أنهى الثانوية.
«العمر يمر» يقولها وهو على أطراف الشرود إلى حيث لا ندري، ربما يتحسس شعر رأسه، لكنه لم يعزه البياض بعد، ما زال شاباً رغم الغربة وأوجاعها، ومع هذا فعبدالسلام يفكر في العودة، لا بل هو عازم على العودة إلى الغربة بعد العيد بأيام يقول : «لقد جمعنا العيد على سفرة واحدة، إنه إحساس لا يعرفه إلاّ من ذاق مرارة الغربة وجلس إلى طاولة الطعام هناك بمفرده، بينما الناس وسط عوائلهم لكنني مضطر للعودة إلى الغربة، فهناك عملي الذي سأبني به مستقبلي، ومن هناك أستطيع أن أقدم لأسرتي الكثير من الخدمات»، إذاً لكل شيء ضريبة والغربة هي ضريبة ما يحصل عليه وما يقدمه لأسرته من خدمات.

### زيارة سريعة

□ قد يكون المهم أن يكون رب الأسرة متواجداً ليلة العيد لتكتمل الفرحة في عيون الأطفال والنساء، وهذا ما يحرص عليه دائماً، علي سريحي، أحد المغتربين في دولة الإمارات، يدير مجموعة من المحلات التجارية، ولهذا فهو مضطر للإشراف عليها، خاصة أيام العيد، حيث تشهد الأسواق انتعاشاً غير عادي، وتعتبر الأعياد مواسم لبعض المنتجات، لكن السريحي مضطر - أيضاً - للعودة إلى اليمن، فعائلته الصغيرة دائمة الإلحاح عليه بألاّ تعيش العيد بمفردها، وبين مسؤولية الشغل ونداء الإيوة وتكبيرة العيد يعيش علي السريحي في سفر متواصل بين الإمارات والسعودية واليمن، قال «من الضروري أن أقضي أول أيام العيد وسط عائلتي في صنعاء، لأن العيد بعيداً عن أطفالي لا قيمة له، لكنني مضطر للعودة ثاني أو ثالث أيام العيد إلى دبي، وربما أمر على المملكة العربية السعودية، فلي أهل هناك ويجب أن أزورهم».
أطفاله الثلاثة يعيشون الفرحة فرحتين، فرحة العيد وفرحة حضور والدهم، ويبدون مقتنعين برحيله بعد أيام العيد الأولى، لقد تعودوا على ذلك.
يقول أحمد، أكبر أبنائه : «المهم أننا نقضي يوم العيد مع والدي»، إنهم يشعرون بالسعادة ووالدهم يصطحبهم إلى كل مكان يذهب إليه، يقول علي : «رغم زياراتي المستمرة، إلاّ أن لزيارة العيد معنى آخر»، إنها مناسبة دينية عظيمة، ولذلك فلابد من تقديسها ولابد من اجتماع الشمل وصرف أيامها وسط الأهل والأصدقاء والأحباب.

# لماذا يُفضّل المستهلكون الحلويات المستوردة؟

## تلبي حاجة العين من الإغراء بمنظرها ولا تهتم كثيراً بالمذاق اختلاف أشكالها ومصادرها في كل مناسبة يدفع الناس إلى اقتنائها

تحقيق/صقر الصنيدي

□ فجأة تستيقظ أسواقنا على أصناف لا تعرفها من قبل وعند كل مناسبة يتكرر الحال، وأصبحنا لا نستهلك إلاّ ما يصل إلينا من الخارج غير قابلين بما يأتينا من الداخل، وإن كان بنفس المواصفات وأقل سعراً، وخلال أيام عيد الأضحى المبارك شهدت أسواقنا ما لم تشهده من قبل، تقاطرت عليها أنواع الحلوى من كل اتجاه وأصبح للنوع الواحد ثلاث جهات مصنعة.
الأسواق تعج بما فيها من الحلوى مختلفة الأنواع والمصدر، ولا يجد الآباء أنفسهم إلاّ مضطرين لشراء أشياء كانت في السابق كمالية وتحول وضعها إلى أساسية، كما عبر بذلك محمد الحبيشي، معد البرامج الأسرية في الفضائية اليمنية، والذي أضاف أن الآباء يكونوا مجبرين على الشراء بنفس راضية، فهم حريصون على إدخال السعادة والبهجة إلى قلوب أبنائهم.
وهي كما يسمونها فرحة العام، ولابد أن تتوفر بكمياتها في السوق لتلبي الطلبات المتزايدة.

### جدارة حلويات

□ محمد الحبيشي، وهو أب لطفلين، قام بشراء أنواع مختلفة من الحلوى المستوردة، وهي عادة يقوم بتنفيذها كل عام حتى يحس بفرحة أبنائه، ويحرص على تسمية أنواع تلك الحلوى التي يقتنيها، والتي يظهرعدم وجود مواصفات على استيرادها أو حتى تصنيعها، فهي صناعة تقوم على الجذب أكثر منها على الفائدة.
وكذلك يقوم ياسين العديني باقتناء أنواع مختلفة من الشوكولاتة المستوردة، رافضاً إبدالها بأنواع أخرى، إلاّ إذا أثبتت جدارتها واستحقاقها لنيل الثقة.
ويقول ياسين إن أبناءه هم من يطلبون منه شراء الحلوى المستوردة ويفضلونها على غيرها من الحلويات المتوفرة في السوق، والتي لا تأخذ بعين الاعتبار أذواق الناس وإرضائهم.
ويقول ياسين إنه حتى حين يسمح لأبنائه بالقيام بشراء ما يحتاجونه من حلوى بأنفسهم فإنهم لا يختارون إلاّ أنواعاً مستوردة.

### وجود ضئيل

□ الصناعة الخفيفة المحلية للحلوى تتواجد إلى جوار المستورد، ولكن بدرجة ضئيلة جداً، وتحتل الصفوف الهامشية في المحلات، وإذا كان كل قدوم لمناسبة هو قدوم لأنواع جديدة ومتنوعة ومختلفة من الحلويات التي يريد الناس التعرف عليها، فإن المنتجات المحلية لا تهتم بذلك إطلاقاً ولا تطلق منتجات متماشية مع متطلبات السوق الذي يحتاج إلى الجديد الجذاب والمغري وربما المستفز، كما يقول محمد صلاح الذي يعمل في إحدى شركات توزيع المنتجات المستوردة، والمتخرج من كلية التجارة والاقتصاد في صنعاء، وقال إن ما تحققه الحلوى المستوردة هو نجاح يحسب لمواكبتها التغير ورغبات الناس.
ويضيف : ما تراه هذا العام لا تراه العام القادم، إنهم يقومون بتلبية طلب السوق وتوجه الناس.

### أصحاب المحلات

□ الحديث مع بعض أصحاب المحلات غير مرغوب لديهم، حتى أن أحدهم قال، ولا تزال كلماته في أذني : «جينا نتصحف أو نطلب الله»، لقد أنساني بذلك حتى مجرد السؤال، ولم أعرف ما أقوله له، حتى عندما بدأ يتجاوب معي على غفلة من زحمة ما قبل العيد ولا أدري متى تستمر، وقال : إن أفضل ما لديه هو المستورد من شتى أنواع الحلوى، العربي منها والأجنبي، لأنها الشيء المطلوب من المستهلكين الذين يأتون للبحث عن الأنواع الجديدة التي نزلت السوق، أما الأطفال فهم يأتون وقد حفظوا أسماء تلك الأنواع التي يرغبون فيها.
صاحب محل آخر طلب مني أن أنتظر بعد ما جناه منذ الصباح حتى قبيل الظهيرة وهو وقت مزدحم بالطلبات، قال : تختلف أذواق الناس، وكل واحد منهم يريد نوعاً مختلفاً عن الآخرين، حتى أن بينهم من يعجبه غلاف علبة الحلوى وإن غلي ثمنها وقل ما بداخلها.

### تجربة قصيرة

□ صاحب محل ثالث فتح محله مؤخراً حسب ما يظهر على المحل، ويؤكد بقوله إن تجربته قصيرة، إلاّ أنه عندما أراد أن يملأ محله بالحلوى تلقى نصائح بأن يختار أنواعاً جميعها مستوردة، وإن كانت ذات أسعار مرتفعة، فالطلب عليها في ازدياد وهو ما وجده فعلاً، فالزبائن الذين يأتون إليه يدققون في العلامة التي تحملها الحلوى ويفضل معظمهم الأنواع التي تحتوي على أشكال عديدة في علبة واحدة وبسعر معقول.

### الإعلانات التلفزيونية

□ تنبه حامد الزين، صاحب محل حلوى، إلى شيء هام، وهو تأثير الشاشة التلفزيونية، فهناك أنواع عديدة كانت متكدسة لديه وجاءت فترة وبدأ الطلب عليها يرتفع، اكتشف أنها أصبحت تروج لها تلفزيونياً، ويأتي الناس ويسألون عنها وعن أسعارها ويقومون بشرائها ولو بأسعارها المرتفعة.
ابنه محمد الذي كان يستمع إلى حديث والده قال : إن أكثر من يأتي لطلب الحلوى ذات الإعلام التلفزيوني هم الأطفال، وخاصة الإعلانات الكارتونية القريبة من قلوبهم.

### إغراءات

□ واحدة من الإغراءات التي صاحبت تنوع الحلوى التي لا يحصى شكلها الجذاب والمغري، فقد اشترى توفيق الحمدي شوكولاتة ذكر اسمها، وقال إنه عندما اشتراها اعتقد أن ما بداخل العلبة يكفي لأسرته الكبيرة نوعاً ما، لكنه فوجئ بما داخل كل علبة أنه عبارة عن حلوى صغيرة، حتى أنها ليست جيدة المذاق كما توقع.
ما خيب ظن توفيق وجد له وقع آخر عند فؤاد حمود صاحب الأسرة الصغيرة الذي قال : إن الشكل أصبح واحداً من الأساسيات لبيع أي شيء في الأسواق، وبين ذلك الحلويات التي يعمل صناعها على شد وجذب انتباه الأطفال بشتى الوسائل، وبينها الشكل الجميل والجذاب.

### أسعار

□ الأسعار ارتفعت بشكل جنوني لهذه الحلويات المستوردة حتى وصل سعر علبة واحدة تحتوي (٣٠ - ٤٠) قطعة صغيرة الحجم، إلى (٢٠٠٠) ريال ومع ذلك فلن يغير ذلك من الأمر شيئاً، حيث يقوم الآباء بشراء الحلوى، وخاصة الأنواع المستوردة، بأسعار خيالية ويجبرون في أحيان كثيرة على الاقتراض من أجل تلبية حاجة أبنائهم من الحلوى المستوردة، كما حدث مع علي عبدالقادر، الذي يدرس في مدرسة الكويت، فقد اقترض (٣٠) ألف ريال وزعها بين ملابس لأبنائه الثلاثة والحلوى التي أخذت جزءاً كبيراً من المبلغ.
ويرى عبدالوهاب حميد، صاحب محل حلوى، أن أسعار المستورد مناسبة إذا ما قورنت بجودتها، خاصة وأن تلك الأسعار مختلفة من نوع إلى آخر، فهناك الرخيص والمتوسط والغالي.
ويضيف : للأسف فإن كثيرين لا يعجبهم إلاّ أن يشتروا لأبنائهم الأنواع الضخمة حتى بمنظرها فقط، وهي ذات أسعار مرتفعة حتى بمنظرها فقط، مع أنه توجد أنواع رخيصة يجب أن يعود الآباء أبنائهم على الاكتفاء بها والتكيف معها، وهو ما يقوم به مع أبنائه، فعبدالوهاب حميد لا يشتري لهم إلاّ الأنواع المناسبة والمتوسطة في سعرها وليس الغالية كما هو حاصل مع آباء وضعهم المادي ليس مناسباً لشراء ذلك النوع.

### للصغار كلمة

□ الأطفال أنفسهم الذين تحتلهم هذه الأيام فرحة لا توصف وهم يرقصون فرحاً بعيد الأضحى المبارك وقيامهم مع ذويهم بالزيارات إلى حدائق الألعاب والمتنزهات ذات العدد القليل، يفضل هؤلاء الأطفال الأنواع الأغلى، ولا يقتنع الواحد منهم إن حصل على حلواه من المنزل إلاّ أن يذهب هو للشراء وقد وجدت أنواع عديدة طريقها إلى الشهرة لديهم، فمحمد، ذات السنوات التسع، يحفظ أكثر من عشرة أنواع من الحلوى المستوردة، وجميعها ذات أسماء أجنبية وأسعار مهولة لا يريد إلاّ أن يشتري لنفسه كافة الأنواع، كما فعل أصدقائه الذين يورد أسماءهم - أيضاً - وبينما يستمع إليه والده المبتسم الذي قال : الأطفال لم يعودا كما كانوا في السابق، فهم اليوم أكثر معرفة بالأشياء.
وحسب الصغير ضياء ياسين فإن ما صرفه في شراء حلوى فقط تجاوز الأربعة آلاف ريال له دون أخوته الأربعة الذين فعلوا مثله، وكانت جميع الأنواع مستوردة ويحفظ اسمها عن ظهر قلب على كثرة أسمائها، ويقول إنه يفضل الحلوى التي تأتي إلى جوارها الألعاب الصغيرة، وإن كانت تتلف بالحال نظراً لهشاشتها إلاّ أنها بالنسبة له مسلية ولو لدقائق فقط.